السنة السابعة والستون وثلاث مئة

فيها وصل عضد الدولة إلى الأهواز، فقرَّر أمورَها ورتَّب الحُماةَ في طُرُقها، وسار إلى البصرة لخمسٍ بقين من المحرَّم وقد انصرف أبو كاليجار مَرْزبان بن عز الدولة، فوجد الفتنةَ قائمةً بين مُضَر وربيعة، فنظر في ذلك، وما زال حتى ألَّف بين القبيلَتَين، وضَمِن بعضُهم بعضاً، وكتب بينهما كتابَ اتِّفاق، وأصلح بينهما، فانْحَسَمت موادُّ الفتنة، وسار إلى واسط فدخلها في ربيع الأول، فعمل كما عمل في الأهواز والبصرة.

وفيها توفي يوسف بن الحسن الجَنَّابي، وسنذكره إن شاء الله تعالى.

ذكر ما نقله عز الدولة بعد دخوله بغداد حتى خرج عنها:

ولما دخل عز الدولة بغداد تجدَّد لابن بقية طَمعٌ في أن يُراسِلَه، وبذل له ثلاث مئة ألف دينار يُصَحّحها من كُتَّابه وأسبابه ومن باقي النواحي إذا رَدَّه إلى وزارته، وأن يقومَ بالحرب وتدبير الجيش، وبلغ أصحاب عز الدولة والقُوَّاد الذين كانوا أشاروا بالقبض عليه، فقالوا لعز الدولة: إنما هذا طَمَعاً للخلاص مما هو فيه، فإذا مَلك نفسَه أثار الفتنة وقلب الدولة، ولا يؤمَن أن يواطئ عضدَ الدولة عليك وعلينا، فقال: ما الرَّأي؟ قالوا: حَسْمُ مَوادّه بسَمْله، فسَمَله في ربيع الأول.

ثم استشار قُوَّادَه في المقام ببغداد أو الخروج عنها، فأشار بعضُهم بالثَّبات، وقال بعضهم: نَجمعُ عسكرنا، ونقصد الأهواز مُخالفين لعَضُد الدولة، ونقصد بلادَ فارس، فإذا عاد إلينا عُدنا إلى بغداد.

فبرز بعسكره إلى باب الأَزَج، وعقد جسراً هناك، وتردَّدت الرسائل بينه وبين عضد الدولة على أن يُسلِم إليه بغداد، ويَدخلَ في طاعته، ويُقيمَ في كَنَفه، أو يخرج إلى الشام فيفتح البلاد، فقال: أخْرُجُ إلى الشام، وتقرَّر الأمرُ بينهما على هذا، وشَرَط عليه عضد الدولة أن لا يَتعرَّض لبلاد أبي تَغْلب بن حَمْدان إلا مُختاراً في أعماله، وكان قَصْدُ عضد الدولة تأييسَ أبي تَغْلِب[1]، فقال: نعم.

(١) في الكامل ٨/ ٦٩١ أن ذلك لمودة ومكاتبة كانت بين عضد الدولة وأبي تغلب.

ووقع النِّداءُ ببغداد في الجانبين بالصُّلْح، وطابت قلوبُ الناس وسكنوا.

ورحل عز الدولة يوم الجمعة لليلةٍ خلت من شهر ربيع الآخر إلى قُطْرَبُّل، وتفرَّق دَيْلَمُه عنه؛ فطائفةٌ ثبتت معه وسارت بمَسِيره، وطائفة انحازت مع الحسن بن فيلسار، فسار بها إلى جِسر النَّهْرَوان، وطائفة دخلت في طاعة عضد الدولة.

ودخل أوائلُ أصحابِ عضد الدولة بغداد لليلتين خلتا من ربيع الآخر، ونزل عضد الدولة بالخِيَم بالشَّفيعي[1]، وخرج الطَّائع إلى لقائه، وضُربت له القِباب في الجانب الشرقي وزُيِّنت، وسار إلى باب الشَّمَّاسِيَّة في أحسنِ هَيئة، وأجمل تعبئة، وبين يديه خمسة أَفْيِلَة مُزَيَّنة بالمقاتلة، وكان يوماً عظيماً، وأقام بباب الشماسية إلى حادي عشر ربيع الآخر، ثم نزل دارَ السَّلْطَنة التي كان ينزلها سُبكتكين بالمُخَرّم.

وسار الحسن بن فيلسار من النَّهْرَوان متأمِّراً على مَن معه من الدَّيْلَم يقصد بعضَ الجِهات التي يَتمكَّن فيها من الفساد، فأنفذ إليه عضد الدولة أبا القاسم سعد بن محمد الحاجب في عِدَّةٍ من الدَّيْلَم، فأوقع به، وأخذه أسيراً وبه ضَرَباتٌ قد أثْخَنَتْه، فلَبِث قليلاً ثم مات، وقُتل أكثر مَن كان معه.

ذكر ما جرى عليه أمر عز الدولة:

لما سار عن بغداد وكان معه حَمدان بن ناصر الدولة سار لمسيره واتِّقائِه، واجتمع إلى عز الدولة ألفا رجلٍ، وحَصل له من الخيل والسلاح ما استقلَّ به واستَظْهَر، ونهب خيولَ المزارعين والبُناة بنواحي دُجَيْل ومَسْكِن، وكانت عِتاقاً، ونهب الغِلال، واتَّفق مع حمدان على قَصْدِ أبي تغلب ومُحاربَتِه، وأخذِ البلاد منه، ومتى رجع عن هذا الرأي كان حمدان آمناً من أن يُسْلِمَه إلى أخيه، واستَوْثَق منه بالأيمان والعهود المُغَلَّظة.

فلما وصل إلى تَكريت قدم عليه أبو الحسن علي بن عمر كاتبُ أبي تغلب بهدايا يسيرة، وسار معه إلى الحَديثة، وأغواه، ودعاه إلى القَبْض على حَمدان، وتسليمه إلى أخيه أبي تغلب؛ على أن يجتمع معه أبو تَغْلِب، ويُنفق أموالَه، ويَبْذُلَ رجالَه وسلاحَه،

(١) انظر المنتظم ١٤/ ٢٥٢.

ويعودَ معه إلى بغداد يُحارب عضد الدولة، فامتنع من ذلك وقال: كيف أصنع بالأيمان والحِنْث؟

فاستعان عليه بوالدته وأخيه عُمدة الدولة أبي إسحاق وخواصِّه، فلم يفعل، واتَّصلت الهدايا والمُلاطفات من أبي تغلب، ولم يزل أبو الحسن علي بن عمر بأصحاب عز الدولة في أمر حَمْدان.

وكان أبو تغلب وأختُه جَميلة في قلبهما من حَمدان، طالبِين بثأر أخيهما أبي البركات عنده.

وأقام عز الدولة على المنع، ولما قَرُب من الموصل اجتمع أبو تغلب بعُمدة الدولة، وتقرَّر بينهما الأمر على قبض حَمدان من حيث لا يَدخل عز الدولة في الأمر؛ لئلا يَحْنَث بيمينه.

وكان عز الدولة بحَديثَة الموصل، فرجع عمدة الدولة إليه، وخَوَّفه وقال: نحن في قبضة أبي تغلب، وإن لم تَفْعل قَصَدَنا وحارَبَنا، وما لنا به طاقة، وقد حلَف لنا على المساعدة بنفسه وماله ورجاله على خلاص بغداد.

فخاف عز الدولة وطمع، فسلَّم حمدان إلى أخيه يوم الخميس لعشرٍ بقين من جمادى الأولى، فحبَسه في بعض القِلاع ثم قتله، وهرب أبو السَّرايا بن حمدان إلى عضد الدولة، فحصل في حملته.

وجمع أبو تغلب وحَشَد، وأخرج المال واستكثر منه، واجتمع بعز الدولة على ظهور الخيل، فتحالفا وتعاهَدا وتخالصا، وانحدرا في خمسة وعشرين ألف مقاتل، ويكون عز الدولة مُواجِهاً مُلاقياً، وأبو تغلب مُرادِعاً ومُستَدْبِراً لظهر عسكر عضد الدولة.

ذكر ما فعله عضد الدولة بعد دخوله بغداد:

ركب إلى دار الطَّائع في جُمادى الأولى يوم الأحد لتسعٍ خلون منه، ومعه أصنافُ الجُند والأشراف والقُضاة والأماثل ورسولُ أبي القاسم نوح بن منصور بن نوح صاحبِ خُراسان، فخلع عليه الطائع الخِلَع السُّلطانية، وتوَّجه بتاجٍ مُرَصَّعٍ بالجوهر، وطَوَّقه،

وسَوَّره، وقَلَّده سيفاً، وعقد له لِوائين بيده؛ أحدهما مُفَضَّض[١] على رسم الأمراء، والآخر مُذْهب على رسم ولاة العهود، ولم يُعقَد هذا اللواء الثاني لغيره ممن يجري مجراه، ولا خُلِع التاجُ على مَلكٍ قبله، ولُقِّب تاجَ الملَّة مُضافاً إلى عضد الدولة، وكتب له عهداً على ما وراء بابه، وقُرئ بحضرة الخلفاء، فإذا أخذه الرجل منهم قال له الخليفة: هذا عهدي، خُذْه إليك واعمل به، وحمله على فَرسٍ بمركب ذهب، وقاد بين يديه آخر بمركبٍ مثله.

وخرج من حَضرته فاشتق الجانب الشرقي وقد نُصِبت له القِبابُ المُزَيَّنة إلى باب الشَّمَّاسِيّة.

ثم انحدر في طَيَّارٍ إلى داره، وجلس من الغد يوم الاثنين بالخِلعَ، والتَّاجُ على رأسه، وهو على السَّرير، ودخل إليه الناس على طبقاتهم فهَنَّؤوه، وأنشد الشُّعراء.

ثم ركب في يوم الثلاثاء في الجانب الغَربيّ، فاخترقه من النَّجْمِيّ إلى باب التِّبْن وقد نُصِبت له القِباب، ثم نزل في الطَّيَّار إلى داره، وتصدَّق بعشرين ألف درهم.

وذكر أبو الحسن علي بن عبد الله بن حاجب النعمان صِفةَ الخَلْع على عضد الدولة فقال: لما حَضَر عضد الدولة إلى الطائع في مَورِده الثاني إلى بغداد سألَه أن يَزيد في لقبه تاجَ المِلَّة، ويُلْبِسَه التاج، وسبعَ جِباب، وفَرَجِيَّة، وعِمامة، فأجابه إلى ذلك، وصِيغ التاج والطَّوق والسِّوارَين من ألفين وخمس مئة مِثقال.

وكان ترتيبُ الأمر أن جلس الطائع على سرير الخلافة في صدر السِّدِلَّى[٢] من داره في دَسْت خزٍّ أسود مُحَوّم بالذهب، وحوله من خدمه الخواصّ نحو مئةُ خادم بالثياب الجميلة، والمَناطق، والسيوف المُحَلّاة، وقد أحدقوا بالسَّرير، وبأيديهم المَذَابّ، والحُجَّاب والأشراف والأعيان خارج السِّدِلَّى، والطائع جالس وبين يديه مصحف عثمان رضوان الله عليه، وعليه البُردة، وبيده القَضيب، وعلى رأسه الرُّصافِيَّة، وضُربت على الأساطين الوُسْطى سِتارةُ دِيباجٍ أنفذها عضد الدولة، وسأل أن تكون حجاباً بين الخليفة والناس؛ لئلا تقع عين أحد من الجُند عليه قبله.

---

(١) أي مُوَشّى بالفِضَّة. وينظر المنتظم ١٤/ ٢٥٣ وتاريخ الخلفاء ١/ ١٦٨.

(٢) معرب، وأصله بالفارسية: سه دله، كأنه ثلاثة بيوت. تاج العروس، وفي تكملة المعاجم لدوزي ٦/ ٥١: سِدِلَّة: مصطبة، صُفَّة، أريكة.

وامتلأت الدَّارُ من الدَّيْلَم، والتُّرك، والقُضاة، وأرباب المناصب والمراتب، والأشراف الطالبيين والعباسيين وغيرهم، وجاء عضد الدولة، فحين قَرُب من الستارة رُفعت، وحينئذٍ وقع طَرْفُه على الخليفة، فقال له مؤنس الصِّقِلّي: قَبِّل الأرض، فقبَّلها من أول الصَّحن، ولم يُقبّلها أحدٌ ممن معه لئلَّا يُشاركه، وكان بين يديه زيار القائد، فارتاع لما شاهد وقال: أيها الملك، أهذا هو الله عز وجل؟ فقال: لا بل خليفة الله في الأرض.

ثم قَبَّل الأرضَ سبعَ مرات حتى وصل إلى السَّرير، فقال له الطائع: ادْنُ، فدنا، فقبَّل يدَ الخليفة ورِجلَه، وثنى الخليفةُ يمينَه عليه، وبين يدي السّرير كرسيّ، فأشار الخليفةُ إلى عضد الدولة بالجلوس عليه، فأومأ إليه، ولم يَجلس حتى أقسم عليه الطائع، فجلس، فقال له: ما كان أشوَقَنا إليك، وأتْوَقَنا إلى مُفاوضتك، فقال: العُذْرُ مَعلوم عند مولانا، فقال: نيَّتُك مَوثوقٌ بها، وعَقيدَتُك مَسكونٌ إليها، وقد فَوَّضْتُ إليك ما وَكَل الله تعالى إليّ من أمور الرَّعِيَّة في شرق الأرض وغربها، سوى خاصّتي وأسبابي وما وراء بابي، فتولَّ ذلك مُستجيراً بالله تعالى، فقال: يُعينني الله على خِدمةِ مولانا وطاعته.

ثم قال عضد الدولة: أُريد وجوهَ القُوَّاد الذين دخلوا معي يَسمعون هذا، فقال الطائع: يُحضَروا ويُحضر ابن مَعروف وابن أم شَيبان والزَّيْنَبيّ، وسمَّى جماعةَ القُضاة والأشراف، فحضروا، وأعاد عليه القولَ بحضرتهم.

ثم أُفيضت عليه الخِلَع، فعاد وأراد أن يُقَبِّل الأرضَ فلم يقدر من ثِقَلِ التاج، وأعطاه الطائع من بين المِخَدَّتين سيفاً آخر مُحلًّى، فقلَّده به مُضافاً إلى سيف الخِلعة.

فلما أراد عضد الدولة أن يَنصرف قال للطائع: إني أتطَيَّرُ أن أعودَ على عَقبي، وأريد أن يُفتَح لي باب إلى دجلة، فأذن في ذلك، فحَضر في الحال ثلاث مئة صانعٍ كان عضد الدولة قد أعدَّهم، ففتحوا له باباً، وركب الفرس بمركب الذهب والطائع يراه إلى أن خَرج من البلد.

ذكر هديَّةِ الطائع لعضد الدولة في اليوم الثالث من الخِلْعَة:

فَرَجِيَّةُ وَشْيٍ مُثقلة، وغِلالةُ قَصَبٍ، وقَلَنْسُوَةُ وَشْيٍ مُذَهَّب، وصينيَّة ذهب وزنُها ثمان مئة مِثقال، فيها مَعْسَلُ ذهب، وطاساتٌ وكاسات مُطَعَّمة، وثيابُ دِيباج، وتُحَفاً كثيرة.

وبعث إليه عضد الدولة خمسَ مئة حِمْل، منها ألفُ ألف دِرهم فِضَّة، وخمسون ألف دينار، وخمس مئة ثوب أنواعاً من الدِّيباج وغيره، وثمانون صينية ذهب وفضة، فيها أنواعُ الطِّيب من المِسْكِ والعَنْبَر والنَّدِّ والكافور، وعشرة أفراسٍ بمراكب الذهب، وسَهَّارِيّ[1]، وغيرها.

وقبض عَضُد الدولة على مَن بقي من أصحاب عز الدولة، واستخرج منهم أموالاً كثيرة، وحمل أبو سعد بن بَهْرام أبا الطاهر بن بَقيَّة إلى عضد الدولة وهو مَسْمول، وطولب بالمال فلم يكن عنده شيء، فشُهِر في جانبَيْ بغداد على جَمَلٍ وعليه بُرْنس، ثم قتله.

وفيها جلس الطائع لرسول أبي القاسم نوح، وعقد له على خُراسان، ودفع إليه الخِلَع واللواء سِفارةَ عضد الدولة؛ لأن أبا صالح منصور بن نوح كان مُصاهراً لعضد الدولة، فلما مات أقاموا ابنه أبا القاسم نوحاً مكان أبيه، فهؤلاء ملوك ما وراء النهر.

وهذا **أبو القاسم نوح** بن منصور بن نوح بن نصر بن أحمد بن إسماعيل بن أحمد بن أسَد بن سامان خُداه بن حيثمان[2] بن طُمغاث بن نُوشرد بن بهرام جوبين بن بهرام جُشْنس بن فيرزاد بن خسرو بن نَرْسِي بن بهرام بن أردشير بن سابور بن يزدجرد الأثيم.

وفي رجب وَرَد رسولُ شريف بن سيف الدولة صاحب حلب إلى عضد الدولة، وهما ابن الناصر العلوي وعبد الله بن أحمد الإسكافي، يَبْذُلان الطاعة عن شريف، فقبل عضد الدولة منهما ذلك، وخاطب الطائع، وتنجَّز له الخِلَع واللواء والعهد، وخادماً من خَدَم الخليفة[3].

وفيها زادت دجلة زيادةً عظيمة في نيسان؛ بلغت إحدى وعشرين ذراعاً وثلثاً، وانفجر بالزَّاهر من الجانب الشَّرقي بَثْقٌ غَرَّق الدُّور والشَّوارع، وهرب الناس إلى السُّفُن، وهيَّأ عضد الدولة الزَّبازب تحت داره، وأطلق المال، وجلب القَصَب من كل

(١) في المعجم الوسيط: السهاري: مصباح ضئيل النور ينير البيت ليلاً بعد نوم أهله.

(٢) كذا، وفي الكامل ٧/ ٢٧٩: جثمان، وفي الأنساب ٧/ ١٢، والإكمال ٥/ ١٤٨، ومعجم البلدان (سامان): جُبا، أو حيا.

(٣) من أول السنة إلى هنا ليس في (ف م م١).

مكان، واتَّفق أن زَورقاً كبيراً جاء وفيه قَصَب، فساقه الماء إلى الفُوَّهة التي انفتحت عند الزَّاهر فسدَّها، وعاجلوا بالتُّراب فوقه وطَمَروه فيها، ودُفن في موضعه، فكان سبباً في سدِّ الفُوَّهة، ثم أصبح الماء ناقصاً ففرح الناس.

وفي يوم الاثنين الثاني من شَوَّال خرج عضد الدولة من بغداد قاصداً عز الدولة وأبا تغلب، وخرج الطائع معه بالجيش كله، ودخل أبو علي الفارسي على عضد الدولة لما أراد الخروج لقتال عز الدولة، فقال له: ما رأيناك في صُحبتنا[1]! فقال: أنا من رجال الدعاء لا من رجال اللقاء، فخار الله للملك في عزيمته، وأنجح قَصْدَه في نهضته، وجعل العافيةَ زادَه، والظَّفَرَ تُجاهَه، والملائكةَ أنصارَه، وأنشد: [من المنسرح]

ودَّعْتُه حيث لا تُودِّعُه ... نفس ولكنها تسيرُ معه
ثم تولَّى وفي الفؤاد له ... ضِيقُ مَحَلٍّ وفي الدُّموعِ سَعَه

فقال له عضد الدولة: بارك الله فيك، فإني أَثِقُ بطاعتك، وأتيقَّن صفاءَ طَوِيَّتِك، وقد أنشدنا بعض أشياخنا بفارس فقال: [من مخلع البسيط]

قال لهم[2] إذ سار أحبابُه ... وبدَّلوه البُعدَ بالقُربِ
والله ما شَطَّت نَوى ظاعِنٍ ... سار من العَينِ إلى القَلْبِ

فدعا له أبو علي وقال: أيأذن مولانا في نقل هذين البيتين؟ قال: نعم، فاستملاهما منه.

والتقوا يوم الأربعاء لاثنتي عشرةَ ليلةً بقيت من شوّال، ووقف عَضُد الدولة في القلب، ووقف الناس بين يديه، واشتدَّت الحرب، وقُتل من الفريقين جماعة، وكان الطائع في عِدَّةٍ من الفُرسان والرجال مع الأثقال والسّواد، فنصر الله عضد الدولة، وانهزم عز الدولة عند ارتفاع النهار فأُخِذ أسيراً، وهرب أبو تَغْلِب ومعه عمدة الدولة وأبو طاهر ابنا معز الدولة وأبو كاليجار بن عز الدولة.

ذكر السبب في هزيمتهم:

كان عضد الدولة لما اتفق عز الدولة عليه وأبو تغلب وتحالفا أعمل الحيلة في إفساد ما بينهما، فدسَّ كتاباً إلى أبي تغلب على لسان بعض ثِقاته يقول: قد صحَّ عندي أن عزَّ

(١) في المنتظم ١٤/ ٢٥٢: ما رأيك في صحبتنا؟
(٢) في المنتظم ١٤/ ٢٥٣: قالوا له.

الدولة وعضد الدولة قد اتَّفقا في السرِّ عليك، وأن يأخذوك أسيراً يوم الحرب، ويَمضي عز الدولة فيأخذ الموصل ويقيم بها، ويعود عضد الدولة إلى بغداد، فاستَظْهِرْ لنفسك.

فاحترز أبو تغلب من مُخالطة عز الدولة، فلما وَقَعت الحرب قاتل عز الدولة، وأرسل إلى أبي تغلب أن يَحمل على المَيْمَنة مراراً، فتوقَّف لما كان خامَرَ سِرَّه من الكتاب، فوقف على تلٍّ مُشْرِفٍ من بعيد، ولم يخالط العسكر، فكانت الهزيمةُ، وتبعوا أبا تغلب، وخرج فنجا ومعه أخو عز الدولة وولده أبو كاليجار.

وعاد الطائع إلى بغداد، وحمل الأُسارى من الدَّيْلَم والتُّرْك في الزَّواريق، فمنهم من غرق، ومنهم من بقي، ومنهم من استُبقي.

وسار عضد الدولة إلى الموصل، فوصلها يوم الأربعاء عاشر ذي القعدة، فنزل دارَ أبي تغلب، وولَّى العمَّالَ في النواحي، وبعث وراء المنهزمين، وهم عمدة الدولة، وأخوه أبو طاهر، وأبو كاليجار بن عز الدولة، ووالدة عمدة الدولة وأخيه، وتفرَّقوا، وسار بعضهم إلى دمشق مع زوجة معزّ الدولة وبها هفتكين التركي، فأنزلهم وأحسن إليهم، وأقاموا عنده.

وأما أبو تغلب فسار إلى مَيَّافارِقين ومعه أختُه جميلة، وكانت مُشاركةً له في الأمر والنَّهي، ومعه أخواته الباقيات وحُرَمُه، وبعث إليه عضد الدولة أبا الوفاء طاهر بن محمد، فلما قَرُب من مَيَّافارِقين سار أبو تغلب بعياله إلى قلعة بَدْليس، ونزل بميافارقين هزارمرد الحَمْداني غلام جدِّه أبي الهيجاء، وجاء أبو الوفاء فنازلها، وسار أبو تغلِب إلى قلاعه، واستنزل منها مالاً حمله معه، وتبعه أبو الوفاء، ثم عاد فحصر مَيَّافارقين، وسنذكره إن شاء الله تعالى.

وفي هذه السنة جرَت لعضد الدولة لما دخل بغداد قصَّةٌ مع أبي الحسين بن سَمعون نذكرها إن شاء الله تعالى في ترجمة أبي الحسين[1]، وحجَّ بالناس أبو عبد الله العلوي.

(١) من قوله: وفي يوم الاثنين الثاني من شوال خرج عضد الدولة... إلى هنا ليس في (ف م م١).

وفيها توفي

أبو القاسم إبراهيم[١] بن محمد

ابن أحمد بن مَحْمويَه النَّصْراباذِيّ، النَّيسابوريّ. ونصراباذ مَحلَّةٌ من مَحالّ نَيسابور [، وثمَّ جماعة يُنسَبون إلى هذه المحلَّة.

وأما أبو القاسم صاحب هذه الترجمة سمع الحديث الكثير، وأثنى عليه الحاكم أبو عبد الله، وأبو عبد الرَّحمن السُّلَميّ، وابن خَميس[٢] وغيرهم، وقالوا: هو نيسابوري المولد والمنشأ].

وكان شيخَ خُراسانَ في وقته، وإليه يُرْجَع في علوم القوم، والسُّنَن، والتَّواريخ، وعلوم الحقائق.

[وقال القُشَيري:] صحب الشِّبليّ وغيره، [وكان عالماً بالحديث، كثير الرواية.

وقال السُّلمي في «الطبقات»: هو شيخ الصوفية بنيسابور] وله لسان الإشارة مَقروناً بالكتاب والسُّنَّة [، وما كانت تُشَبَّه أوقاتُه وبكاؤه إلا بأوقات الشبلي وبكائه.

ذكر نبذة من كلامه:]

قال: إذا بدا لك شيء من مبادئ الحقِّ فلا تلتفت معه إلى جنَّةٍ ولا إلى نار، وإذا رجعتَ إلى ذلك الحال فعَظِّم ما عظَّمه الله تعالى.

وقيل له: الكلُّ مُلْكُه فكيف اشترى؟ فقال: اشترى كشِرى الأب للطفل.

وقال: العبادات إلى طَلَب العَفْوِ عن التَّقْصيرِ فيها أحوج إلى طلب العِوَض عنها[٣].

وقال: أهلُ المحبَّةِ واقفون مع الحقِّ على مقامٍ إن تقدَّموا غَرِقوا، وإن تأخَّروا حُجِبوا.

---

(١) في (ف م م١): وفيها أبو القاسم النصراباذي واسمه إبراهيم، والمثبت من (خ ب).

(٢) انظر: تاريخ بغداد ٧/ ١٠٧، وطبقات الصوفية ٤٨٤، والرسالة القشيرية ١٢٤، ومناقب الأبرار ٢/ ٢٠١، وتاريخ دمشق ٢/ ٤٩١ (مخطوط)، والمنتظم ١٤/ ٢٥٦، والسير ١٦/ ٢٦٣، وتاريخ الإسلام ٨/ ٢٦٣.

(٣) في طبقات الصوفية ٤٨٧: العبادات إلى طلب الصفح والعفو عن تقصيرها أقرب منها إلى طلب الأعواض والجزاء بها.

وقال: أثقالُ الحقِّ لا يَحملها إلا مَطايا الحقّ.

وقال: جَذْبَةٌ من جَذَباتِ الحقِّ تُربي على عَمل الثَّقَلَين.

وقال: أنت بين نِسبتين؛ نِسْبَةٍ إلى الحقّ ونِسْبةٍ إلى آدم، فإذا انتسبتَ إلى الحقِّ دخلتَ في مقامات الكَشْفِ والعِصْمَة، وتلك نسبة تحقيق العبودية ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ﴾ [الحجر: ٤٢]، وإذا انتسبتَ إلى آدم دخلتَ في مقامات الظُّلمِ والجهل ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَـٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢].

[وحكى عنه في «المناقب» أنه] قال: سِجْنُك نفسُك، فإذا خرجتَ منها وقعتَ في راحة الأَبَد.

وقال: إنما سُمّي أهلُ الكهف فِتْيةً لأنهم آمنوا بغير واسطة.

وقال: الحقُّ غَيور، ومن غَيرته لم يجعلْ إليه طَريقاً سواه.

وقال: نهاياتُ الأولياء بدايات الأنبياء.

وقال: دخلتُ البادية [في بعض أسفاري] فصُعِقْتُ، فكُشِف لي عن القمر، فإذا في وجهه مَكتوب: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ الآية [١٣٧: البقرة]، فاستَقْلَلْتُ من وقتي ومَشَيت[1].

وقيل له: إنه ليس لك في المحبة شيء؟ فقال: محبَّةٌ توجبُ سَفْكَ الدِّماء، ومحبةٌ توجب حَقْنَها، وإن كان كما قالوا فلي حَسَراتٌ أحترِقُ منها، وأنشد: [من الطويل]

ومَن كان في طولِ الهوى ذاقَ سَلْوَةً ... فإني من لَيلى لها غيرُ ذائقِ
وأكثرُ شيءٍ نِلْتُه من وِصالها ... أمانيُّ لم تَصدُقْ كلَمْحَةِ بارِقِ

وقال: للخلق كلِّهم مقامُ الشَّوق، وليس لهم مقام الاشتياق، ومَن دخل في مقام الاشتياق هام فيه حتى لا يُرى له أَثَرٌ ولا قَرار.

وقال: للنَّفس قوت، وللقلب قوت، وللسرِّ قوت، وللرُّوح قوت؛ فقُوتُ النَّفسِ الطُّمَأنينة، وقوت القلب الرُّوحانيّة، وقوت السرِّ الفكرة، وقوت الرُّوحِ السَّماعُ الصَّادرُ

(١) في مناقب الأبرار ٢/ ٢٠٤: فاستقللت وفتح عليَّ من ذلك الوقت.

عن الحق، وقوت الأقوات على الحقيقة هو الله تعالى؛ لأن الكفايات منه، وأنشد: [من الطويل]

إذا كُنتَ قُوتَ النَّفْسِ ثم هَجَرْتَها ... فلم تَلْبَثِ[1] النَّفْسُ التي أنت قوتُها

ستبقى بقاءَ الضَّبِّ في الماء أو كما ... يعيشُ ببَيْداءِ المهامِه حُوتُها

واستسقى يوماً فجاء المطر فقال: [من الكامل]

خرجوا ليَسْتَسقوا فقلتُ لهم قِفوا ... دَمعي يَنوبُ لكم عن الأنْواءِ

قالوا صَدَقْتَ ففي دُموعِكَ مَقْنَعٌ ... لو لم تكن مَمزوجَةً بدماءِ[2]

ذكر وفاته:

خرج إلى مكة سنة خمس[3] وستين وثلاث مئة، وكان يَعِظُ على المنابر ويُذَكِّر، ومات بمكة [في سنة سبع وستين وثلاث مئة، ودُفن] عند تربة الفُضَيل بن عِياض رضي الله عنه.

وكان صدوقاً، ثقةً، أجمعوا عليه.

[حكى في «المناقب»[4] وقال:] رآه بعضُ الصَّالحين في المنام بعد موته فقال: ما فعل الله بك؟ فقال: عُوتِبْتُ عِتابَ الأشراف، ثم نُوديتُ: يا أبا القاسم، هل بعد الاتّصال انفصال؟ فقلت: لا، يا ذا الجلال والإكرام، وما وُضِعْتُ في اللَّحْدِ حتى لَحِقْتُ بالأحد[5].

[فصل وفيها تُوفّي]

بَخْتِيار أبو منصور عزُّ الدولة

ابن مُعزّ الدولة أبي الحسين بن بُوَيْه.

---

(١) في مناقب الأبرار ٢/ ٢٠٤: فكم تلبث، وهي الأشبه، والمثبت موافق لما في تاريخ دمشق ٢/ ٤٩٣.

(٢) من قوله: وقيل له إنه ليس لك في المحبة شيء... إلى هنا ليس في (ف م م١).

(٣) في (ف م م١): ذكر الحاكم أبو عبد الله قال: خرج النصراباذي إلى مكة في سنة خمس.

(٤) مناقب الأبرار ٢/ ٢٠٤.

(٥) في (ف م م١): بالأبد، وبعدها في (م): انتهت ترجمته.

كان من أحسن الناس خُلُقاً، وأشدِّهم قُوَّةً، كان يَصرَعُ الثَّورَ الشَّديدَ وحده، ويبارز الأُسودَ في صُيودها[١].

وكان المطيع قد خلَع عليه، وسَلْطَنَه، وطَوَّقَه، وسَوَّره، وقد ذكرنا أخبارَه في السنين.

وانتهى أمرُه إلى أن جاء عَضُد الدولة وأخرجه من بغداد، فعاد وحارَبَه ومعه أبو تَغْلِب بن حَمْدان، فانهزم أبو تغلب.

ذكر مقتل عز الدولة:

[قال ابن الصابئ:] لما التقى عز الدولة بعضد الدولة قاتل قتالاً شديداً، وثَقُل به سلاحُه، فقصَّر به فرسُه، فوقع إلى الأرض، فظَفِرَ به بعضُ الأكراد، فأخذ ما عليه وهو لا يَعرفه، وخلَّى عنه، وأدركه أرسلان كورموش فتعرَّف عليه، وجاءه أرسلان تكين الكوركيزي، فأخذاه وحملاه إلى عضد الدولة، وقيل: إن رأسَه حُمل إلى عضد الدولة في طشت، فتأمَّلَه، وتفَقَّد طاقات شَعَرٍ أبيض كانت في عوارضه.

وكان سِنُّه لما قُتل ستاً وثلاثين سنة، ومدةُ إمارته إحدى عشرة سنة وشهوراً، وقُتل جماعةٌ من خواصّه صَبْراً بين يدي عضد الدولة [، وكان بين مَصْرَعِ عز الدولة وابن بَقيَّة اثني عشر يوماً[٢].

فصل وفيها توفي

عبد الله بن محمد

أبو القاسم الحَرَّاني، إمامُ جامع دمشق.

كان زاهداً، صالحاً، وكانت وفاته بدمشق، ودُفن بباب كَيْسان عند أبي إسحاق البَلُّوطيّ.

حدَّث عن محمد ابن أبي شيخ الحرَّاني وغيره. وروى عنه الدارقطني وغيره، وكان ثقةً صدوقاً][٣].

---

(١) كذا، وفي المنتظم ١٤/ ٢٥٦: متصيداته.

(٢) وفيات الأعيان ١/ ٢٦٧، وتاريخ الإسلام ٨/ ٢٦٦، والسير ١٦/ ٢٣١.

(٣) مختصر تاريخ دمشق ١٣/ ٢٨٩، وتاريخ الإسلام ٨/ ٢٦٨، وما بين معكوفين من (ف م م١)، وبعد هذا فيها: السنة الثامنة والستون وثلاث مئة.

محمد بن عبد الرحمن

أبو بكر، البغداديّ، ويُعرف بابن قُرَيْعَة.

وكان خَفيفَ الرُّوح، كثيرَ المَزْحِ، مَليحَ العِبارَةِ، طَيِّبَ النَّادِرة، وخُصَّ بأبي محمد المُهَلَّبي الوزير في أيامه، ولازمه، ونفق على عز الدولة من بعده، وقَرَّبه، ولَطَفَ به عنده، ونادمه، وكان لا يُفارقه، ويُحَمِّله الرسائل، وله ألفاظ مُدَوَّنة.

كتب إليه أبو عبد الله الزُّبَيْرِيّ وَرَقةً يقول فيها: المملوك أبو عبد الله الزبيري، الموسوم بالدُّعاء للملوك في المواكب، والأذان في الجوامع، له مدّةٌ ما وصل إليه جائزة.

فوقَّع عليها: ذكرتَ أنك منذ مدة لم تَقْبِض ما أجريتُه لك من باب البرِّ شيئاً، فشُوهَةٌ بُوهَة، وأحوالٌ مَكروهة، أيكون أحدٌ أحقَّ منك نَسَباً في المهاجرين، وزَعَقاتٍ في الدِّين، وصَيحاتٍ بمنافع المسلمين؟ اللهم غَفْراً، نتلافى ما فرطت منك تلافياً شافياً كافياً إن شاء الله تعالى.

وحضر عند عزِّ الدولة جماعةٌ من الفقهاء فيهم هَرَوِيّ، فقال: أيها الأمير، هذا من بلد القِشْمِش[1]، ومَعْدِن المِشْمِش، من أهل هَراة، رجالُها سَراة، وجبالُها شَراة، فضَحك عز الدولة.

وحضر يوماً عند عَضُد الدولة وقد خرج من بين يديه أبو العباس أحمد بن علي النَّفَّاط العامل، فقال: هذا أبوه كان يَبيع النَّفْط، فقال له ابن قُرَيْعَة وكان واقفاً بحضرته: هذا لقبُ تعريف، لأن اللقب ثلاثة؛ لقبُ تَشريف، ولَقَبُ تعريف، ولَقَب تَسخيف، فقال له عضد الدولة: مثل ماذا؟ فقال: أما التَّشْريف فمثلُ ركن الدولة وعضد الدولة وما كان في معناه، وأما التعريف فمثل ابن النَّفَّاط، وابن اللَّقَّاط، وابن المَقَّاط[2]، وأما التَّسخيف فمثل زيقط وبطبط وقطقط، فضحك عضد الدولة منه وقال:

---

(١) الزبيب الصغير لا نوى له.

(٢) المِقاط: الحبل.

شارَكْنا بختيار في لَهْوِه وطَنْزِه[١]، فقال: أيها الملك، لكان زمانٌ وآل والملوك تُعاشَر بمثل أخلاقها، وإن كان بختيار أخذَ من اللهو بنَصيب وأخذنا معه فإن مولانا يَجِدُنا في الجِدِّ بحيث يَختار ويؤثر ويُحبّ[٢].

وكان أبو الحسين الزاهري[٣] يستفتي ابنَ قُرَيعة دائماً في تَعَضُّلاتٍ يَضَعُها، فكتب إليه يوماً: ما يقول القاضي أيَّده الله في رجلٍ باع حِجْراً[٤] على رَجُل، فلما رفَع المُشتري ذَنَبَها لِيُقَلِّبَها بعد وَزْن ثمنها، فخرج منها ريحٌ مُصَوِّتَة؛ اتَّصلت بحَصاةٍ ففَقأتْ عين الرَّجُل، ما الواجب فيها الدِّيَةُ أو الرَّدّ؟

فكتب ابنُ قريعة تحت خطِّه: الجواب وبالله التوفيق: لم تَجْرِ عادةٌ بمثل هذه البَدائعِ بين مُشْتَرٍ ولا بائع، فلذلك لم تثبت في فَتاوى الفُقهاء، ولم تُسْطَر في كُتب العلماء، ولكن هذا وما شاكَلَه يَجري مُجرى الفُضول، المُسْتَخْرَج من أحكام العُقول، فأقول: إن دِيَةَ ما جَنَتْهُ الحِجر مُلْغاةٌ في حُكم المُهْدَار؛ لأن «العَجْماءَ جَرْحُها جُبار[٥]»، لحديث النبي المختار ﷺ، لا سيّما والمُشتري عند كَشْفِ عَورتها اسْتَارَ [كامِنَ] سَوْرَتَها[٦]، ولكن رَدُّ السِّلْعَة واجب، وعلى البائع لها إرجاعُها[٧] وردُّ ما قَبض؛ لأنه دَلَّس حِجْراً، مَضِيقُها مَنْجَنيقُها، ومُطْلِقُها بَيْدَقُها، ولم يَبْرَ من ذلك، وإن السِّهام إذا كانت طائشة فتلك من العيوب الفاحِشة، وأغراضها نواظِرُ الحَدَق، وقلّما يَستظهرُ المُقَلِّبون للخيل بالدَّرَق.

وأمره المُهَلَّبي أن يُشْرِف على بناءٍ في داره، فحضر رجلٌ من العامَّة، فادَّعى أن وَكيلَ المُهَلَّبيّ اشترى منه ثلاثين بيضةً لتزويق السقوف، ولم يعطِه شيئاً، فقال

(١) سخريته.

(٢) انظر التذكرة الحمدونية ٩/ ٣٥٦.

(٣) كذا، ولم أقف على أكثر هذه الأخبار، وفي تاريخ بغداد ٣/ ٥٥٥ خبران بين ابن قريعة وأبي الحسن الزهراني، فلعله هو، والله أعلم.

(٤) هي أنثى الخيل الكريمة.

(٥) أخرجه أحمد (٧٢٥٤)، والبخاري (١٤٩٩)، ومسلم (١٧١٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦) جنى آثار غضبها.

(٧) في (ب): ارتجاعها.

ابن قُرَيْعة: يا هذا بَيِّن دَعواك، وأفْصِحْ عن نَجواك، فمن البَيْض بيضٌ نَعامي، وهندي، وبطي، ونَبَطي، وحَمامي، وعَصافيري، حتى إن الدُّودَ يَبيض، والسَّمك يبيض، فمن أيِّ أجناسه تدَّعي؟ فقال الرجل: ما أدري ما تقول، لي ثلاثون بيضةً من بيض الدَّجاج النَّبَطيّ والسلام.

وكان له بستان وفيه أكَّارٌ يقال له: صاعِد، فبلغه أنه قد سَرق طَوْقَ دولاب البستان وزُجَّه، فكتب إليه: يا صاعد، حَدَر الله بروحك إلى جهنم ولا أصعدها، ومن الخيرات أبعدَها، بلغني أن عاتياً عَتا على الدُّولاب في غَفْلَةِ الرُّقَباء والأصحاب، فسَلَبه طَوْقَه وزُجَّه من غير دلالة ولا حُجَّة، فهَمَمْتُ بالدُّعاء عليه، ثم عَطَفْتُ بالحُنُوِّ عليه، وقلت: اللهم إن كان أخَذه من حاجة فأَغْنِه عن المعاودة إلى مثله، وإن كان أخذه من غير حاجة فابْتُر عُمُرَه، واكْفِ المسلمين شَرَّه، فكتب إليه صاعد: قد عَمّرتُ الدولاب من عندي، والسلام.

وزحمه رجلٌ راكِبٌ على حمار فقال: [من مخلع البسيط]

يا خالقَ اللَّيلِ والنَّهارِ ... صَبْراً على الذُّلِّ والصَّغارِ

كم من جَوادٍ بلا حمارٍ ... ومن حمارٍ على حمارِ

وركب ابن قُرَيْعة مع القاضي ابن مَعْروف بواسط، فدخلا دَرْبَ الصَّاغة، فتأخَّر ابنُ قريعة وتقدَّم ابن معروف، فقال ابن قريعة: إن تقدَّمت فحاجب، وإن تأخرت فواجب.

توفي ابن قريعة ببغداد يوم السبت لعشرٍ بقين من جمادى الآخرة عن خمس وستين سنة.

قال الخطيب: ولاه أبو السَّائب عُتبة بن عُبيد الله قضاءَ السِّنْدِيّة وأعمالَ الفُرات، وكان كثيرَ النَّوادر، حسنَ الخاطر، يُسْرِع بالجواب المطبوع من غير تصنُّع، وله أخبار طريفة، وكان فاضلاً، ولا أعلمه أسْنَدَ الحديث[1].

---

(١) تاريخ بغداد ٣/ ٥٥٠، والمنتظم ١٤/ ٢٥٨، ووفيات الأعيان ٤/ ٣٨٢، وتاريخ الإسلام ٨/ ٢٧٧، والسير ١٦/ ٣٢٦.

أبو طاهر محمد

ابن محمد بن بَقيّة، وزير بَختيار.

قد ذكرنا بدايته وأخبارَه أيام وزارته، وكان عضد الدولة قد بعث إليه يُميلُه عن بختيار، فقال: الخيانةُ والغدر ليسا من أخلاق الرِّجال.

ذكر مقتله:

قد ذكرنا أن عز الدولة لما خرج من بغداد ودخلها عضد الدولة سلَّمه إليه أبو سعد ابن بهرام مَسْمولاً، فشَهره في بغداد من الجانبين وعلى رأسه بُرْنُس، ثم أمر أن يُطْرَح تحت أرجل الفِيَلَة فقتلتْه، ثم حُمِل فصُلِب في طَرَف الجِسْر من الجانب الشَّرقيّ، ولم يَشفع فيه الطائع لأمرٍ كان في نفسه منه، وأُقيم عليه الحَرَس.

وقيل: إن عز الدولة بعث به إلى عضد الدولة لما خرج عن بغداد لقتاله، وكتب أهلُ بغداد لعنَة عضد الدولة على حيطان الجوامع والأسواق؛ لأنه كان عادلاً جَواداً مُحسِناً إلى الجُند والرَّعِيَّة، سَخيًّا، فاجتاز به أبو الحسن محمد بن عمر الأنباري الصُّوفيّ الواعظ، وكان صَديقاً له، فرثاه بأبيات، وهي: [من الوافر]

عُلوٌّ في الحياةِ وفي المَماتِ ... بحقٍّ أنت إحدى المُعْجِزاتِ

كأنَّ الناسَ حَولك حين قاموا ... وُفودُ نَداكَ أيامَ الصِّلاتِ

كأنَّكَ قائمٌ فيهم خَطيباً ... وكلُّهم قِيامٌ للصَّلاةِ

مَدَدْتَ يديك نحوَهم اقتفاءً ... كمَدِّهما إليهم بالهِباتِ

ولما ضاقَ بَطْنُ الأرض عن أن ... يَضُمَّ عُلاكَ من بعد المَماتِ

أصاروا الجوَّ قَبْرَكَ واستنابوا ... عن الأكْفانِ ثَوْبَ السَّافياتِ

لعُظْمِكَ في النُّفوس تَبيتُ تُرْعى ... بحُفَّاظٍ وحُرَّاسٍ ثِقاتِ

وتوقَدُ عندك النِّيرانُ ليلاً ... كذلك كنتَ أيَّامَ الحَياةِ

ولم أرَ قبلَ جِذْعِكَ قطُّ جِذْعاً ... تَمكَّن من عِناقِ المَكْرُماتِ

رَكِبتَ مَطيَّةً من قبلُ زيدٌ ... عَلاها في السِّنينِ الذَّاهِباتِ

وتلك فَضيلةٌ فيها تأسٍّ ... تُباعِدُ عنك أسبابَ الدِّناتِ

وكنتَ لمَعْشَرٍ سَعْداً فلما ... مَضيتَ تَفرَّقوا بالمُنْحِساتِ

وكنتَ تُجيرُ من صَرْفِ الليالي ... فعاد مُطالباً لك بالتِّرات
أسأْتَ إلى النَّوائبِ فاسْتَثارت ... فأنتَ قَتيلُ ثأر النَّائباتِ
وصَيَّر دَهْرُك الإحسانَ فيه ... إلينا من عَظيم السَّيِّئاتِ
غَليلي باطنٌ لك في فؤادي ... يُخَفَّفُ بالدُّموعِ الجارياتِ
ولو أني قَدَرْتُ على قيامي ... بفَرْضِك والحُقوقِ الواجباتِ
مَلأتُ الأرضَ من نَظْمِ المَراثي ... ونُحْتُ بها خِلافَ النَّائحاتِ
ولكنِّي أُصَبِّرُ عنك نفسي ... مَخافَةَ أن أُعَدَّ من الجُناةِ
وما لك تُربةٌ فأقولُ تُسْقى ... لأنَّك نُصْبُ هَطْلِ الهاطِلاتِ
عليكَ تَحيَّةُ الرَّحمنِ تَتْرى ... برَحْماتٍ رَوائحَ غاديات[1]

وبلغتْ عضدَ الدولة، فأباح دمَ الأنباري، وجدَّ في طَلَبه سنةً فلم يوجَد، وبلغت الأبياتُ الصاحبَ إسماعيلَ بن عَبَّاد، فكتب له أماناً، وكان ابنُ عَبَّاد بالرَّيِّ، فقدم الرجلُ عليه، فقال: أنت قائلُ الأبيات؟ قال: نعم، قال: أنشِدْني إيَّاها، فأنشدها، فلما بلغ إلى قوله: ولم أرَ قبل جِذْعك قطُّ جِذعاً... البيت، قام ابن عَبَّاد قائماً، واعتنقه، وقبَّل فاه، ثم خَلَع عليه، وكتب له كتاباً إلى عضد الدولة بالإحسان إليه، فلما دخل عليه قال: ما حَمَلَك على مَرْثِيَة عَدوي!؟ فقال: حقوقٌ سَلَفَتْ، وأيادٍ سَبَقَتْ، فجاشَ الحُزْنُ في قلبي.

وكان بين يَديْ عَضُدِ الدولة شُموعٌ تُزْهِر فقال له: قل فيها شيئاً، فقال: [من المتقارب]

كأن الشُّموعَ وقد أظهَرَتْ ... من النَّارِ في كلِّ رأسٍ سِنانا
أصابعُ أعدائكَ الخائفينَ ... تَضَرَّعُ تَطلُبُ منك الأمانا

فرَضي عنه، وخلَع عليه، ووصَلَه ببَدْرَةٍ، وأعطاه فَرَساً من مَراكبه.

وذكر هِلالُ بن الصَّابئ أن الأبيات ظهرت بعد موت عضد الدولة، وأن ابنَ بَقيَّةَ بقي مَصلوباً على خَشَبته؛ إلى أن حُطَّ في أيَّام صَمْصام الدَّولة ودفن، والأوَّل أصحّ.

---

(١) الأبيات في الكامل ٨/ ٦٩٠، ووفيات الأعيان ٥/ ١٢٠، ومختصر تاريخ دمشق ٦/ ٩٦، وتاريخ الإسلام ٨/ ٢٧٩، والسير ١٦/ ٢٢١، والنجوم الزاهرة ٤/ ١٣٠.